

مؤتمر كتابة التاريخ

عن بلاد الشرقيين الأدنى والأوسط

في يوليو الماضي إنعقد مؤتمر بجامعة لندن خصص للبحث في موضوع كتابة تاريخ الشرقيين الأدنى والأوسط « Historical Writing on the Near and Middle East ». وقام بالدعوة لهذا المؤتمر ، وتعهده جميع المراحل التي مر بها الإعداد له وتنفيذه « قسم التاريخ بمعهد الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن ، حتى تم إنعقاده بين يومى ٣٠ من يونيو ، ٤ من يوليو الماضيين . ويقوم قسم التاريخ الآن بإعداد كتاب جامع يشمل البحوث التي قدمت للمؤتمر ويلخص المداولات التي جرت فيه والنتائج التي انتهى إليها .

وقد مر هذا المؤتمر بمراحل عدة نتحدث منها عن الجوانب الآتية :

أولاً : مرحلة الإعداد

ولا نغنى بها كيف ثبتت فكرة الدعوة لهذا المؤتمر ، وإنما نريد بها الخطوات التي اتخذت فعلاً بعد استقرار الفكرة والعزم على تنفيذها .

وقد أخذ الأستاذ برنارد لويس Bernard Lewis ، أستاذ تاريخ الشرقيين الأدنى والأوسط ورئيس قسم التاريخ بمعهد الدراسات الشرقية ، مهمة تنظيم هذه المرحلة على عاتقه ، وتعاون معه فيها زملاءه بالقسم . وبدأت هذه المرحلة بوضع تخطيط للموضوعات المتعلقة بتاريخ هاتين المنطقتين والتي يمكن أن تعرض على الأساتذة المدعوين إلى المؤتمر ليتناولوها ببحوثهم . واستقر الرأي من أو الأمر على أن تقتصر هذه الموضوعات على البحوث الخاصة بكتابة تاريخ هذه المنطقة منذ ظهور الإسلام إلى العصر

الحاضر ، ذلك لأن تاريخ العصر السابق للإسلام موضوع طويل يوسّع مجال البحث ويوزع الجهود ، هذا إلى أن روبرت دنتان Robert C. Dentan قام ببحث هذا العصر ونشر لهذا البحث :

“The Idea of History in the Ancient Near East” (Yale, 1955.)

وفي ضوء هذا المجال الزمني المحدد وزعت البحوث المقترحة بين مجموعات ثلاثة :

(أ) الكتابة التاريخية في البلاد الإسلامية قبل تأثرها بالمؤثرات الغربية ، باللغات العربية والتركية والفارسية وهذا يشمل تاريخ الأقليات داخل البلاد الإسلامية .

(ب) الكتابة التاريخية عن الشرق الأدنى والأوسط في أوروبا وأمريكا منذ العصور الوسطى إلى العصر الحديث .

(ج) الكتابة التاريخية في البلاد الإسلامية في العصور الحديثة ، بعد تأثرها بالمؤثرات الغربية . وهذا يشمل ، إلى جانب تطور التأليف التاريخي في البلاد العربية وتركيا وإيران ، كتابة التاريخ في بلاد ما وراء النهر وأواسط آسيا .

ثم وضعت قائمة طويلة بالبحوث التي يمكن معالجتها داخل هذا الإطار الثلاثي ، نختار منها هنا بعض الأمثلة فمن موضوعات المجموعة الأولى :

- ١ - نشأة كتابة التاريخ عند العرب .
- ٢ - كتاب السيرة ، والمغازي والفتوح .
- ٣ - التأثير الساساني في كتابة التاريخ الإسلامي .
- ٤ - مؤرخو الطبقات في العصر الأول .
- ٥ - تأثير العلوم المنقولة إلى الإسلام في كتابة التاريخ .
- ٦ - مؤرخو القرنين الثالث والرابع الهجريين .

- ٧ - مؤرخو السلاجقة .
- ٨ - مؤرخو الحرب الصليبية .
- ٩ - مؤرخو الفرق .
- ١٠ - مؤرخو الممالك .
- ١١ - كتب التراجم في العصور المتأخرة .
- ١٢ - ابن خلدون .
- ١٣ - نشأة كتابة التاريخ المحلي وتطورها : في مصر ، سوريا ، شمال إفريقيا ، إيران ، بلاد العرب الجنوبية ، الأندلس .
- ١٤ - نشأة الكتابة التاريخية في الدولة العثمانية .
- ١٥ - المؤرخون العثمانيون في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين .
- ١٦ - تاريخ الأقليات : الأرمنية ، المارونية ، القبطية ، اليهودية .
ومن موضوعات المجموعة الثانية :
- ١ - الكتابات البيزنطية عن التاريخ الإسلامي .
- ٢ - المؤرخون الأوربيون للحروب الصليبية في العصور الوسطى .
- ٣ - مؤرخو عصر النهضة
- ٤ - مؤرخو القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين .
- ٥ - الكتاب الانجليز وتاريخ تركيا .
- ٦ - مؤرخو القرنين التاسع عشر والعشرين
- ٧ - المؤرخون الروس .
- ٨ - المؤرخون الأمريكيون .

ومن موضوعات المجموعة الثالثة :

- ١ — فلسفة التاريخ .
- ٢ — الطرق الحديثة في الكتابة التاريخية ووسائلها : نشر المخطوطات ، النقوش ، الوثائق ، المحفوظات الخ .
- ٣ — الموضوعات الجديدة : التاريخ الاجتماعي ، الاقتصادي . . الخ .
- ٤ — تأثير الاحتكاك الثقافي وتنوع الحضارات .
- ٥ — القرية والتطورات السياسية .
- ٦ — تطور الدراسات التاريخية المحلية : في مصر ، سائر البلاد العربية ، تركيا ، إيران ، الجمهوريات السوفيتية .
- ٧ — الجمعيات التاريخية والثقافية وآثارها .
- ٨ — الشعبية في الكتابة التاريخية : تراجم الأبطال ، القصص ، الكتاب الشعبي ، الصحف : يومية وموسمية ، السينما ، الراديو ، المسرح .
- ٩ — تدريس التاريخ في الجامعات والمدارس : موقف المدرسين ، تدريبهم وإعدادهم ، البرامج ، الكتب المدرسية ، المكتبات ، استجابة الطلبة .

ثانيا دراسة البحوث :

ورأى منظمو المؤتمر كذلك أن من المفيد دراسة البحوث التي يعدها الأساتذة للمؤتمر ومناقشتها مناقشة موضوعية تفصيلية ، في ما يشبه لجنة تحضيرية ، في اجتماعات أسبوعية ؛ حتى يمكن تخصيص جلسات المؤتمر جميعها لمناقشة تدور على مستوى عالٍ في ضوء ما قامت به هذه اللجنة التحضيرية . ولتحقيق هذا قرر قسم التاريخ دراسة هذه البحوث في جلسات المناقشة بالقسم « The Seminars » على أن يشترك في هذه المناقشة أعضاء

هيئة التدريس بقسم الشرقيين الأوسط والأدنى وطلبة الدراسات العليا ،
وفي مكتبة القسم ومكتبة المعهد من المراجع ما ييسر هذه المهمة . ولتعزير
قسم التاريخ بهذه المناسبة دُعي أربعة من شباب المؤرخين من بلاد الشرقيين
الأدنى والأوسط للإقامة في لندن فصلين دراسيين ، من أول يناير إلى نهاية
انعقاد المؤتمر ، على نفقة المؤتمر . وروعي في اختيارهم تمثيل الاتجاهات
الرئيسية الثلاثة العربية والتركية والفارسية . فدُعي الدكتور ارشمند كران
E Kuran من تركيا ، والأستاذ منوچهر ستوده M. Sotoodeh من إيران ،
ودُعي من لبنان الدكتور كمال سليمان الصليبي K. S. Salibi ومن
مصر دُعي كاتب هذه السطور .

وتتابع وصول البحوث إلى مقر المؤتمر بلندن منذ أوائل ديسمبر
سنة ١٩٥٧ ، مكتوبة بلغات مختلفة ، ورئي أن تكون اللغتان الانجليزية
والفرنسية لغتين رسميتين للمؤتمر ، على أن يترجم ما كتب بغيرهما إلى
اللغة الإنجليزية . ووزعت هذه البحوث أوّل فأوّل على الأساتذة الذين
قبلوا الدعوة للاشتراك في المؤتمر حتى يقوموا من جانبيهم بدراستها استعدادا
لانعقاد المؤتمر . وفي جلسات المناقشة التحضيرية بلندن تولى الأستاذ برنارد
لويس الرئاسة ، وكان يدير المناقشة بحيث يكون البحث كآله ، كوحدة
متناسكة ، موضوع تقدير وتقويم من حيث المادة والمنهج ، وبحيث تتجه
المناقشة بعد ذلك إلى جميع جزئيات البحث وإن اقتضى هذا ، في معظم
الأحيان متابعة الكاتب فيما كتبه فقرة بعد فقرة . وخصّص لكل جلسة
من هذه الجلسات الأسبوعية مقرّران ، يقوم كل منهما ، منفردا ، بتسجيل
النقط الرئيسية في تقرير خاص ، ثم يشتركان معاً في إعداد تقرير موحد
موجز للاسترشاد به عند المناقشة النهائية ، وليُعرض على صاحب البحث
ليقف منه على نتيجة هذه المناقشة التفصيلية لموضوعه قبل المناقشة النهائية
في جلسات المؤتمر .

وقد لوحظ في هذه الاجتماعات الدورية أن كثيراً من أساتذة معهد الدراسات الشرقية كانوا يحضرونها ويأخذون بنصيبتهم في المناقشة، كل في جهة اختصاصه، وبهذا تعاونت الخبرات المختلفة بالمعهد على تهيئة أكبر قدر ممكن من العناية والدراسة في هذه المرحلة التحضيرية الطويلة التي استغرقت نحو ستة أشهر.

ثالثاً : انعقاد المؤتمر :

عقد المؤتمر أربع عشرة جلسة رسمية بين يومى ٣٠ من يونيو ، ٤ من يوليو، وذلك باستثناء اليوم الثانى من يوليو الذى خصص بطوله لاجتماعات غير رسمية يتعرف فيها أعضاء المؤتمر بعضهم ببعض ، ويتناقشون ، في مجموعات صغيرة ، في مشكلات معينة تثير اهتمامهم ، وليقف كل على مدى مساهمة زملائه في النشاط العلمى وعلى المشروعات التى يعدونها للدراسة والبحث في المستقبل .

وفي ضوء الموضوعات التى قدمت فعلاً للمؤتمر اختصت كل جلسة من الجلسات الرسمية بفترة زمنية محددة أو بمجموعة من الموضوعات المتقاربة . وبهذا اختصت كتابة التاريخ عند العرب منذ نشأتها إلى القرن الثالث الهجرى بجلسة ، وخصصت جلستان لتطور هذه الكتابة التاريخية حتى القرن الثانى عشر الهجرى ؛ وعقدت هذه الجلسات في اليوم الأول ، إلى جانب جلسة الافتتاح . وبحث الكتابة التاريخية عند كل من الفرس والترك ، في جلسة مستقلة ؛ وبحث تاريخ الأقليات في جلسة ثالثة في اليوم الثانى . وخصّص اليوم الثالث للاجتماعات الفرعية كما قدمنا . وفي اليوم الرابع خصصت جلستان للأوربيين والبيزنطيين حتى العصور الوسطى ، ثم للأوربيين منذ العصور الوسطى إلى القرن التاسع عشر . وفي الجلسة الثالثة في نفس اليوم عرضت موضوعات مؤرخى الإسلام من الأوربيين

والأمريكيين والروس في القرن العشرين . أمّا اليوم الخامس والآخر
فشهد ثلاث جلسات لدراسة الكتابة التاريخية في العصر الحديث ، بأنواعها
المتعددة ، وفي اللغات المختلفة . ثم عقدت في نهاية اليوم الجلسة الختامية
للمؤتمر .

وتقدّرأس جلسات المؤتمر الأستاذ برنارد لويس باستثناء جلستين، تولى
رئاستهما زميله بالقسم الأستاذ باون ، كان الأستاذ لويس فيهما مقررا
لموضوعي كتابة التاريخ عند العرب من القرن الرابع إلى الثاني عشر
الهجريين ، وتطور الكتابة التاريخية عند الأتراك حتى القرن الثاني عشر .

أما اللجان الفرعية التي تكونت لدراسة جوانب معينة تهم المؤتمر فهي
خمس لجان تفرغت لدراسة الموضوعات الآتية :

١ - كتابة التاريخ عند العرب ، ومقررها الأستاذ جب H. Gibb ،
من جامعة هارفارد .

٢ - الكتابة التاريخية عند الفرس والترك ، ومقررها الأستاذ
شپولر Spuler ، من جامعة همبورج .

٣ - تاريخ الأقليات ، ومقررها الأستاذ حوراني A.H. Hourani ،
من جامعة أكسفورد .

٤ - كتابة التاريخ عند الغربيين ، ومقررها الأستاذ فراي R. Frye
من جامعة هارفارد .

٥ - الدراسات التاريخية في العصر الحديث ، ومقررها الأستاذ
ثون جرينباوم Von Grunnebaum ، من جامعة كاليفورنيا .

وقد عقدت هذه اللجان جلسات متعددة انتهت فيها إلى توصيات عرضت
على المؤتمر في الجلسة الختامية فقرر إحالتها إلى لجنة تنظيم المؤتمر التي يرأسها
الأستاذ برنارد لويس .

ملاحظات عامة :

١ - اشترك في هذا المؤتمر عدد كبير من المستشرقين الذين انتفعوا بمجهودات أسلافهم وتطوروا بها في سبيل الاكتمال ، والذين لا يزالون يعملون على تهيئة طبقة جديدة من الدارسين ليواصلوا بعد جهودهم . ومن هؤلاء الأعلام نذكر الأساتذة : جب ، فوكه ، شاخت ، كلود كاهن ، وانسمان ، شبولر ، جرينباوم ، وغيرهم وغيرهم .

ومن الشرقيين الذين اشتركوا في هذا المؤتمر نجد : من مصر الأستاذ الدكتور جمال الدين الشيال ، وكاتب هذه السطور ؛ ومن سوريا الدكتور سامي الدهان ، ومن العراق الدكتور عبد العزيز الدوري ، ومن تركيا الأستاذ إنليق والدكتور کران ، ومن لبنان الأستاذ أمين فارس والدكتور كمال الصليبي ، ومن إيران الأستاذ مینوی والأستاذ ستوده .

٢ - يلاحظ أن مجموعة من الباحثين عالجوا موضوعات متقاربة أو فترات زمنية متجاورة ، وأن بعض الموضوعات الأخرى لم تكن موضع عناية كافية ، فازدحت الأولى ، أو كادت ، بالبحوث ، وظهرت حاجة الأخرى إلى الدرس والبحث . ولعل السر في هذا أن مجال الاختيار كان واسعاً أمام الباحثين وأن هذه الموضوعات التي اقترحتها اللجنة التنظيمية كانت حيوية غزيرة التنوع ؛ هذا إلى جانب ترك الحرية الكاملة للأساتذة المساهمين في اختيار الموضوع الذي يكتبون فيه إن من بين الموضوعات المقترحة وإن من غيرها .

٣ - كانت دراسة البحوث ومناقشتها في المرحلة التحضيرية فكرة موفقة ، وقد تمت في هدوء وبطء وبجناية وإتقان ، وانتهت بنتائج مدروسة مركزة تقدم بها المقررون في جلسات المؤتمر الرسمية بجانب البحوث نفسها .

فساعدت على إنارة طريق المناقشة ووفرت كثيراً من الوقت للدراسة
الإنشائية البناءة .

٤ - توفرت الجهود منذ اللحظة الأولى لتجعل من المؤتمر أداة
ناجحة إلى أبعد حدود النجاح الممكنة من حيث تركيز البحث . وتمثل
هذه الجهود في الخطة التفصيلية التي وضعت قبل أن تتخذ الخطوات الفعلية
لتنفيذه . وقد روعي في هذه الخطة التفصيلية تغطية النواحي المختلفة للكتابة
التاريخية قديمها وحديثها ، في الشرق وفي الغرب ، والعناية بالطريقة والمنهج
في التأليف ، والاهتمام بمقدار ارتباط هذه الكتابة التاريخية بالواقع
وبالحياة من حيث تنوع الموضوعات التي تناولتها الكتابة التاريخية ،
ومن حيث مراعاة التجارب بينها وبين احتياجات الدارسين في الجامعة
والمدرسة ، بل من حيث تبسيط هذه المادة التاريخية لتصبح في متناول
العامة أيضاً عن طريق التمثيل والسينما والراديو والصحف اليومية والدورية
وقصص البطولة وتراجم الأبطال .

٥ - ومع أن الدعوة إلى المؤتمر كانت موجهة من قسم التاريخ
(للشرقين الأدنى والأوسط) ، وموضوع الدراسة كان خاصاً بالجانب
التاريخي الصرف وجدنا أساتذة الأقسام الأخرى يسهمون بعلمهم
وبخبرتهم ، بل يبحوثهم أيضاً ، متعاونين للعمل على نجاحه علماً . وقد
حضر كثير منهم جلسات المناقشة التحضيرية للبحوث والجلسات الرسمية
للمؤتمر ؛ فكان هذا عاملاً من العوامل التي هيأت للمؤتمر مجموعة من
الكفايات العلمية المتنوعة .

٦ - ويمر المؤتمر الآن بمرحلته التكميلية التي يقع عبئها على الأستاذ
برنارد لويس وزملائه ، وهي مرحلة تنسيق البحوث التي قدمت للمؤتمر
ومراجعة المناقشات التي دارت فيه ، ودراسة تقارير اللجان الفرعية

وتوصياتها ، وإخراج هذا كله في صورة كاملة أو مختصرة في كتاب جامع ليكون في متناول المهتمين بهذا النوع من الدراسات .

وبعد ؛ فقد نجح المؤتمر ، في رأيي إلى حد بعيد في تحقيق هدفه العلمي بتعاون المشرفين عليه الداعين إليه ، والأساتذة المشتركين فيه ، وأرجو أن تظهر الجهود التي انتهى إليها في صورة كاملة وفي وقت قريب حتى يزيد بناء البحث العلمي في هذه الناحية ابنة جديدة قيمة تساعد ، فيما بعد ، على مواصلة الجهد لخدمة العلم والتطور به في سبيل الاكتمال .

محمد عيسى محمد أحمد